الدرس العاشر:

الفكر الإنساني خلال عصر التنوير

تمهيد:

تعتبر حقبة ما بعد القرون الوسطى او عصور التنوير والممتدة لأكثر من 300 سنة كاملة، مرحلة مهمة في تاريخ الانسان، جعلت الفرد ينتقل من حالة سيئة إلى حالة أخرى منفتحة وأكثر حرية.

1. **ما المقصود بالتنوير**

يعزى الى الفيلسوف الفرنسي، وأبو الفلسفة الحديثة روني ديكارت أنه أول من استعمل مصطلح "النور" في مؤلفه "مبادئ الفلسفة" في سياق تحديد مبادئ وأدوات المعرفة وكمال المعرفة العقلية على المعرفة الحسية ، وكمال العلة على المعلول.

يحمل مصطلح التنوير معنيين متفاوتين ولكنهما مرتبطين في العلاقة، فهو من جهة يشير الى حقبة زمنية لها مميزاتها كأحداث تاريخية عاشتها القارة الأوروبية في القرن الثامن عشر على جميع الأصعدة، ويشير من جهة أخرى الى تيار فكري تقاطعت فيه كثير من الخطوط بالرغم من اختلاف حقول النشاط في الفضاء الاجتماعي الواحد فلسفيا وعلميا وفنيا وسياسيا.

وإذا كانت دلالة هذا المصطلح من الناحية التاريخية تشير الى عصر شهد زخما كبيرا من الإنتاج الفكري والابداع الفني والنقد السياسي والديني في اوروبا، فإن دلالته الثانية تقودنا الى ذهنية هذا العصر ذاتها ومنطق التفكير الذي ميزه، وطريقة تناوله للأشياء والوقائع، ومناهج معالجة القضايا المطروحة من خلال مراجعة البنى الفكرية والاسس

النظرية التي تشكلت بها ذهنية القرون السابقة بطريقة نظرتها الى الوجود والعلاقة القائمة بين مكوناته المادية والروحية.

بحيث وضع عصر التنوير حجر الزاوية في إحداث الفصل التام بين الأسس الدينية للتفكير والإعمال الإيجابي للعقل في تناول مختلف القضايا المطروحة فلسفيا من جهة، بالإضافة الى فحص المبادئ الأولية والمقولات الأساسية التي تقوم عليها المعرفة العقلية من جهة ثانية ، وهو ما سوف يعطي دفعة في مسار الفكر الفلسفي عموما والعلمي بوجه خاص، ويؤسس لصيغ جديدة في التناول والبرهنة والاستنتاج.

غير ان التحول الأبرز الذي سوف يطبع النقاش الفلسفي الأوروبي جاء بعد اتساع دائرة الطرح العقلي لمختلف القضايا ذات العلاقة المباشرة بالأبعاد الوجودية للإنسان، من خلال احتدام النقاش في سياقه التاريخي والمعرفي الذي شهدته أوروبا خاصة على يد ثلة من الإنواريين الذين عبّر كانط عن مسعاهم الفكري بموقف أصيل وصدامي الى حد بعيد لموضعة فكرة التنوير في الحيز الفكري والمعرفي الملائم ، وكان بحق احد أعمدة الفكر الذين تبنوا حركة التنوير والدفاع عنها من خلال مقاله الشهير "ما التنوير" الذي حرره عام 4 178 ، وعرّف من خلاله التنوير بأنه: "تجاوز الإنسان لحالة القصور التي هو مسؤول عنها". 1

ارتبطت فكرة التنوير في الفكر الفلسفي الأوروبي بلحظة وعي الذات والعالم وفق عوامل تأسيسه الموضوعية والقابلة للتمثل العقلي، والادراك الموضوعي بعيدا عن الخضوع لمنطق الوصاية المعرفية أو العودة الى النصوص وتأثير التوجيه الخارجي، فالتركيز هنا على انعكاس التنوير على مرآة فلسفة الانوار من خلال ديكارت وكانط.

انبثق عصر التنوير عن حركة أوروبية فكرية علمية معروفة باسم حركة «النهضة الإنسانية». إذ يعتبر البعض كتاب الأصول الرياضية للفلسفة الطبيعية –الذي ألفه نيوتن عام 1687– أول الأعمال التنويرية الرئيسية.

يحدد المؤرخون الفرنسيون بداية عصر التنوير بالفترة ما بين وفاة لويس الرابع عشر في فرنسا في عام 1715 واندلاع الثورة الفرنسية –في عام 1789– التي أنهت نظام

الحكم القديم، بينما يحددون نهاية هذا العصر مع بداية القرن التاسع عشر. نشر الفلاسفة والعلماء في تلك الحقبة أفكارهم على نطاق واسع من خلال إجراء اللقاءات العلمية في الأكاديميّات والمحافل والصالونات الأدبية، والمقاهي، ومن خلال الكتب المطبوعة والصحف والمنشورات. إذ قوّضت أفكار عصر التنوير السلطة الملكية وسلطة الكنيسة، ومهّدت الطريق أمام الثورات السياسية في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر.

تعود مجموعة متنوعة من الحركات الفكرية في القرن التاسع عشر، بما في ذلك الليبرالية والحركة الكلاسيكية الحديثة، بأصولها الفكرية إلى عصر التنوير. ولقد كان للعالم الإسلامي دور في تاريخ الفكر التنويري، إذ قام العلماء المسلمون مثل ابن رشد وابن سينا بدراسة الأفكار الإغريقية، الأمر الذي أدى إلى تطويرها، وإلى خلق مجالات علمية جديدة. فمن خلال ترجمة ابن رشد وتعليقاته حول أرسطو تم تقديم الفكر النقدي العقلاني إلى أوروبا. وقد دُرِّست الأطروحات التي قدمها ابن رشد في الجامعات الأوروبية الأولى مثل باريس، وبولونيا، وبادوا، وأكسفورد.

اشتمل التنوير على مجموعة من الأفكار التي تركز على سيادة العقل والأدلة على الحواس بوصفها مصدرًا أساسيًا للمعرفة، وعلى المثل العليا كالحرية والرقي والتسامح والإخاء والحكومة الدستورية وفصل الكنيسة عن الدولة.

وقد تضمنت المبادئ الأساسية لفلاسفة التنوير في فرنسا الحرية الفردية والتسامح الديني، مقابل الملكية المطلقة والعقائد الثابتة للكنيسة الكاثوليكية الرومانية. يتميز التنوير بالتركيز على المنهج العلمي وعلى الاختزالية فضلًا عن التشكيك المتزايد بالعقائد الدينية، وهو الموقف التي سلط عليه الفيلسوف كانت الضوء في مقالته «تجرأ على المعرفة".

2. العلوم خلال عصر التنوير

إن تاريخ العلوم خلال عصر التنوير أنتج عديدا من التطورات في العلوم والتقنية خلال عصر التنوير، عندما بدأ نشر الأفكار والمثل العليا في جميع أنحاء أوروبا وأمريكا الشمالية. عموما الفترة تمتد من آخر أيام الثورة العلمية في القرن السادس عشر والسابع

عشر حتى حوالي القرن التاسع عشر، بعد الثورة الفرنسية (1789) وعصر نابليون (1799–1815). الثورة العلمية شهدت إنشاء أول الجمعيات العلمية، وصعود مركزية الشمس، وتشريد فلسفة أرسطو الطبيعية ومذهب جالينوس الطبي القديم. وبحلول القرن الثامن عشر، السلطة العلمية بدأت تحل محل السلطة الدينية وتخصصات الخيمياء وعلم التنجيم فقدت مصداقيتها العلمية.

بينما التنوير لا يمكن تصنيفه إلى مذاهب معينة أو مجموعة من العقائد، جاء العلم ليلعب دورا قياديا في الخطاب والفكر التنويري. العديد من الكتاب والمفكرين التنويريين كان لديهم خلفيات في العلوم المرتبطة بالتقدم العلمي مع الإطاحة بالدين والسلطة التقليدية في صالح تطوير حرية التعبير والفكر. وبصفة عامة، العلم التنويري قدر كثيرا التجريبية والتفكير العقلاني وكان جزءا لا يتجزأ مع المثالية التنويرية للنهوض والتقدم. كما هو الحال مع معظم الأفكار التنويرية، فوائد العلم لم تكن مرئية عالميا; جان جاك روسو انتقد العلوم لإبعادها الإنسان عن الطبيعة وأنها لا تعمل لجعل الناس أكثر سعادة.

العلوم خلال التنوير كانت مسيطر عليها بواسطة الجمعيات العلمية والأكاديميات، التي كانت قد حلت إلى حد كبير محل الجامعات ومراكز البحث العلمي والتنمية. الجمعيات والأكاديميات أيضا كانت العمود الفقري لنضج المهنة العلمية. تطور هام آخر هو نشر العلم بين عدد متزايد من السكان الذين يعرفون القراءة والكتابة. العلماء أدخلوا إلى الجمهور العديد من النظريات العلمية، وخاصة من خلال إنسيكلوبيدي وتعميم النيوتينية بواسطة فولتير وكذلك إيميلي دو شاتيلو المترجم الفرنسي لكتاب نيوتن: المبادئ. بعض المؤرخين اعتبروا القرن الثامن عشر كفترة طفرة في تاريخ العلوم; بيد أن هذا القرن شهد تطورات كبيرة في ممارسة الطب، الرياضيات، الفيزياء؛ علم التصنيف البيولوجي; فهم جديد لكل من المغناطيسية والكهرباء؛ نضوج الكيمياء كتخصص الذي أسس الكيمياء الحديثة.

المراجع المستعملة:

1. جان توشار، تاريخ الأفكار السياسية، ترجمة ناجي الدراوشة دار التكوين للطباعة – والنشر، الطبعة الأولى دمشق ، 2010
2. رونالد سترومبرج، تاريخ الفكر الأوروبي الحديث، ترجمة احمد الشيباني، دار القارئ – العربي، الطبعة الثالثة، القاهرة، 2011
3. هاشم صالح، مدخل الى التنوير الأوروبي، دار الطليعة، بيروت، الطبعة الأولى، 2005 –